(إهداء)

"إلى نفسي، التي صمدت أمام التحديات ، ولم تتوقف يومًا عن الحلم والسعي. وإلى أمي، القلب الذي ينبض حبًا ودعمًا بلا شروط. كل ما أنا عليه الآن، وكل ما سأكونه، يعود لفضلها وعزيمتها لتي ألهمتني. هذا الكتاب هدية لرحلتنا المشتركة، ولكل لحظة صنعت مني ما أنا عليه اليوم."

(مقدمة)

- الحياة لا تسير دائمًا كما نتمنى، وأحيانًا تأخذنا الأحداث إلى طرق غير متوقعة تغير مجرى حياتنا بشكل لا يمكن الرجوع عنه. قد يواجه البعض منا تجارب صعبة تؤثر في تفاصيل حياته وتترك في داخله جروحًا عميقة يصعب شفاؤها. أحد أصعب هذه التجارب هو غياب الأب، سواء كان غيابًا جسديًا أو عاطفيًا. في هذه القصة، نتعرف على فتاة نشأت في بيئة مليئة بالحب في طفولتها، قبل أن تتغير حياتها بشكل مفاجئ عندما اكتشفت أن والدها قرر أن يترك عائلته القديمة ويبدأ حياة جديدة مع زوجته وأطفاله الآخرين. هذه التجربة المريرة أثرت في قلبها، وتركتها في صراع داخلي بين مشاعر الغضب والحزن، لتواجه تحديًا كبيرًا في فهم معنى العائلة والحب. وعلى الرغم من كل الألم، تعلمت مع مرور الوقت أن القوة الحقيقية لا تأتي من الآخرين، بل من الداخل، وأن الغياب العاطفي يمكن أن يكون بداية لاكتشاف الذات وتكوين الشخصية

(الغياب الذي لا يعوض)

كان عمري 13 عامًا عندما اكتشفت

الحقيقة التي غيرت كل شيء. كان يومًا

عاديًا، مليئًا بضجيج المدرسة وضحكات

الأصدقاء. لكنني لم أكن أعلم أن عالمي

سينقلب رأسًا على عقب بمجرد عودتي

إلى المنزل. سمعت أمي تتحدث في

الهاتف بصوت خافت، لكن الكلمات التي

وصلت إلى أذني كانت كافية لتجميد

دمي: "متجوز عليّ؟ وعنده عيال؟"

لم أستوعب الأمر في البداية. هل يمكن أن يكون والدي، الرجل الذي كنت أعتبره بطلي، يحمل سرًا كهذا؟ عندما واجهته أمي، رأيته لأول مرة في حياتي ينكسر، ولم أكن أعرف ماذا أفعل أو كيف أشعر. كانت مشاعري مشوشة. كل ما كنت أريده هو والدي، أن يبقى بجانبي كما كان دائمًا، أن يحكي لي القصص، وأن يأخذني إلى الحديقة كما كنا نفعل كل أسبوع

في البداية، لم أهتم بوجود زوجة أخرى أو إخوة لم أكن أعرفهم. كنت أقول لنفسي: "ما المشكلة إذا كان لديه عائلة أخرى؟ طالما أنه يحبني ويهتم بي، هذا يكفي." كان قلبي الصغير لا يزال يراه البطل، ولم أكن مستعدة للتخلي عنه بهذه السهولة لكن مع مرور الوقت، بدأت أرى الأمور بوضوح. لم يكن يكفي أن أريده فقط. كنت أشاهد أمي وهي تذبل يومًا بعد يوم، وهي تحاول الحفاظ على ما تبقى من كرامتها أمامنا. رأيت كيف كان والدي يعود إلى المنزل بروح مثقلة، وكيف كان يغيب أكثر فأكثر. بدأ شيء داخلي يتغير.

بدأت أفهم أن الحب ليس كافيًا عندما يكون مشوبًا بالكذب والخيانة. كيف يمكنني أن أحب شخصًا جعل أمي تبكي في ليالٍ لا تنتهي؟ كيف يمكنني أن أثق بشخص أخفى جزءًا كبيرًا

مـن حياتـه عنـي؟ لـم يكـن والـدي البطـل الـذي كنـت أتصـوره. كـان رجـلًا عاديًـا، يرتكـب أخطاء، وأحيانًا يدمر من حوله دون أن يدرك.

كبـرت، ومـع كـل سـنة تمـر، كنـت أتعلـم كيـف أضـع مسـافة بينـي وبينـه. لـم يكـن الأمـر سـهلاً. جـزء منـي كـان لا يـزال يتـوق لحنانـه، لصـوته وهـو يقـول لـي "حبيبتـي". لكننـي كنـت أعـرف أننـي لا أسـتطيع السـماح لنفسـي بـالانجراف وراء هـذا الحـب. تعلمـت أن أحـب مـن بعيـد، أن أحـافظ علـى نفسـي وأمـي وأختـي، وأن أكـون قويـة بمـا يكفـي لأبنـي عـالمي الخـاص، خـالٍ مـن الأكاذيب.

كبـرت وأنـا أحمـل فـي قلبـي حيـرةً لـم أسـتطع الـتخلص منهـا. كـان كرهـي لوالـدي يـزداد يومًـا بعـد يـوم، ومـع ذلـك، كنـت أشـعر بضـعف غريـب تجاهـه. كنـت أراه فـي كـل زاويـة مـن زوايـا البيـت، فـي تفاصـيل حيـاتي الصـغيرة، حتـى بعـد أن بـدأ يغيـب عنـا أكثـر. فـي الليـل، كنـت أضـع رأسِـي علـى الوسـادة وأحـاول أن أنسـى، لكننـي لـم أسـتطع. كانـت رائحتـه باقيـة فـي ملابسـه، تلـك الرائحـة التـي تعيـدني إلـى أيـام كنـت أظـن أننـا عائلـة كاملـة. كنـت أخبـئ قميصًـا أو جاكيـت لـه، وأحتضنه بشدة وكأنه يعوض غيابه.

لـم يكـن الأمـر منطقيًـا بالنسـبة لـي. كيـف يمكننـي أن أشـتاق لشـخص كرهتـه؟ كيـف أبحـث عـن راحتـي فـي شـيء يـذكرني بـه؟ لكننـي كنـت أفعـل ذلـك كـل ليلـة، وكـأنني أحـاول أن أسـتعيد ولـو ذرة من ذلك الشعور بالأمان الذي كنت أفتقده.

فـي خضـم هـذا التنـاقض، جـاءت أمـي ذات يـوم لتخبرنـي بقرارهـا. قالـت لـي بصـوت ملـيء بالإرهـاق والحـزم: "لازم أنـزل أشـتغل. مفـيش خيـار تـاني. لازم تسـاعديني، تاخـدي بالـك مـن أختـك." كنـت أعلـم أنهـا لـم تتخـذ هـذا القـرار بسـهولة. أمـي، التـي كانـت دائمًـا فـي البيـت، تحاول أن توفر لنا كل شيء، الآن مضطرة للخروج إلى عالم العمل لتأمين حياتنا.

كانـت أختـي الصـغيرة، التـي تصـغرني بخمـس سـنوات، لا تـزال طفلـة تحتـاج إلـى الكثيـر مـن العنايـة. كنـت أعلـم أننـي سـأتحمل مسـؤولية لـم أكـن مسـتعدة لهـا، لكنـي لـم أسـتطع أن أرفـض. نظـرت فـي عيـون أمـي ورأيـت فيهـا شـيئًا مختلفًـا، شـيئًا يشـبه الانكسـار، لكنـه أيضًـا ملـيء بالإصرار.

بـدأت أتحمـل المسـؤولية شـيئًا فشـيئًا. أعتنـي بـأختي، أسـاعدها فـي واجباتهـا المدرسـية، وأحـاول أن أكـون لهـا الأخـت الكبـرى التـي يمكنهـا الاعتمـاد عليهـا. فـي بعـض الأحيـان، كنـت أشـعر بـأنني فقـدت جـزءًا مـن طفـولتي، لكننـي كنـت أعـرف أننـي أفعـل ذلـك مـن أجـل أمـي وأختـي.رغم كـل شـيء، كـان هنـاك فـراغ لا يمكـن ملـؤه. كنـت أراقـب أمـي وهـي تخـرج كـل صـباح، عائـدةً فـي المسـاء منهكـة، وأشـعر بالمسـؤولية الثقيلـة علـى كتفـي. أختـي الصـغيرة كانـت تلتصـق بـي، تبحـث عـن الأمـان الـذي كانـت تفقـده تـدريجيًا. فـي كـل مـرة تنـاديني فيهـا بـ"ماما" عن طريق الخطأ، كان قلبي ينفطر، لكنني أبتسم وأضمها إليّ.

أمـا والـدي، فكـان غيابـه مثـل شـبح يطـاردني. لـم يكـن مجـرد شـخص رحـل، بـل كـان جرحًـا مفتوحًـا. ومـع ذلـك، كنـت أجـد نفسـي فـي بعـض الليـالي أعـود إلـى عـادتي القديمـة، أبحـث عـن قميصـه بـين ملابسـه، أحتضـنه وأبكـي. لـم أكـن أبكـي شـوقًا إليـه فقـط، بـل علـى كـل مـا فقـدناه كعائلة.

تعلمـت أن القـوة ليسـت فـي عـدم الشـعور بـالألم، بـل فـي الاسـتمرار رغـم الألـم. كنـت طفلـة تكبـر قبـل أوانهـا، لكننـي كنـت أعلـم أننـي أقـوم بـدوري فـي حمايـة عـائلتي الصـغيرة، حتـى وإن كـان قلبـي مـثقلًا بـذكريات لا أسـتطيع محوهـاأمي كانـت دائمًـا قويـة، أو علـى الأقـل، هكـذا كنـت أراهـا وأنـا طفلـة. بعـد رحيـل أبـي، لـم يكـن أمامهـا خيـار سـوى أن تصـبح كـل شـيء لنـا:

الأب والأم، السند والقوة، حتى عندما كانت تنهار من الداخل. بدأت تعمل في كل وظيفة يمكن أن توفر لنا لقمة العيش. كانت الأيام تبدأ قبل الفجر. تستيقظ بصمت، ترتدي ملابسها البسيطة، وتخرج قبل أن نستيقظ أنا وأختي.

في البداية، كانت تعمل في تنظيف البيوت. كانت تعود متعبة، تحمل على وجهها آثار الإرهاق. كانت يداها تتشقق من الماء والصابون، لكن ذلك لم يكن كافيًا لتغطية احتياجاتنا. مع الوقت، توسعت في أعمال أخرى. أصبحت تطبخ للناس، تحضر الولائم والمناسبات. لم تكن تتوقف عن العمل، وكأنها تحاول أن تهرب من شيء أكبر، من واقعنا القاسي.

كنت أراها تعود إلى البيت بملامح منهكة، لكنها كانت تحاول دائمًا أن ترسم ابتسامة على وجهها. كنت أعلم أن هذه الابتسامة ليست حقيقية، لكنها كانت تحاول أن تخفي ألمها عنا. كنا نعيش يومًا بيوم، بالكاد نستطيع توفير احتياجاتنا الأساسية. ورغم كل شيء، لم أسمعها تشتكي ولو مرة واحدة.

لكن الحقيقة كانت واضحة: أمي كانت تتعب كثيرًا. كنت أشاهدها وهي تعاني في صمت، وكانت تلك المشاهد تثقل قلبي. في أحد الأيام، عادت أمي متعبة أكثر من المعتاد. جلست بجواري، نظرت إليّ بعينيها الممتلئتين بالإرهاق والحزن، وقالت: "بنتي، لازم نكون أقوى من كده. أنا محتاجة مساعدتك."

لم أفهم في البداية ما كانت تعنيه. لكنها أوضحت بعد قليل: "لازم تسيبي المدرسة وتاخدي بالك من أختك. أنا مش قادرة أعمل كل حاجة لوحدي." كانت كلماتها كالصاعقة. كنت أحب المدرسة، أحب التعلم وأحلم بأن أصبح شيئًا كبيرًا في المستقبل. لكن أمي كانت تطلب مني أن أضحي بكل ذلك.

لم أستطع الاعتراض. كنت أعلم أن أمي لم تكن تطلب مني ذلك إلا لأنها وصلت إلى مرحلة لا تستطيع فيها التحمل وحدها. كنت أعرف أن أختي الصغيرة بحاجة إلى عناية، وأن أمي بحاجة إلى من يقف بجانبها. فوافقت بصمت، رغم أن قلبي كان يتمزق بدأت حياتي تتغير بسرعة. لم أعد أذهب إلى المدرسة، ولم أعد أرى أصدقائي. أصبحت يومياتي تدور حول أختي الصغيرة. كنت أستيقظ كل صباح لأعد لها الفطور، وأساعدها في الاستعداد للمدرسة. كنت أقوم بكل شيء: أغسل الملابس، أطبخ، وأرتب المنزل. أصبحت طفلة في الثالثة عشرة من عمرها تؤدي مهام الكبار.

في البداية، شعرت بالضياع. كنت أتساءل: كيف أصبحت حياتي هكذا؟ لماذا يجب عليّ أن أتحمل كل هذه المسؤوليات بينما أصحابي يعيشون طفولتهم؟ كنت أرى الأطفال الآخرين يلعبون في الشوارع، يذهبون إلى المدارس، يعيشون حياة طبيعية، بينما كنت أنا عالقة في دورة لا تنتهي من الأعمال المنزلية.

لكن أختي الصغيرة كانت بحاجة إليّ. كنت أعلم أنها تعتمد عليّ. كانت تلتصق بي في كل لحظة، تبحث عن الأمان في وجودي. كنت أحاول أن أكون قوية من أجلها، أن أعوضها عن غياب والدي وعن تعب أمي. في بعض الأحيان، كانت تناديني بـ"ماما" عن طريق الخطأ، وكنت أشعر بشيء ينكسر داخلي. لكنني لم أكن أظهر ذلك. كنت أبتسم وأضمها إليّ، أحاول أن أكون لها الأم التي تحتاجها.رغم كل ما كنا نمر به، لم يكن هناك أحد إلى جانبنا. أهل أمي كانوا غائبين تمامًا. لم يتصل أحد ليطمئن علينا، ولم يأتِ أحد ليسأل عن حالنا. كانوا وكأنهم لا يعرفوننا. كنت أسمع أمي تتحدث عنهم أحيانًا، عن أخواتها وإخوتها الذين يعيشون حياتهم بعيدًا عنا. كنت أتساءل: لماذا لا يهتمون؟ لماذا لا يحاولون مساعدتنا؟ لكنني لم أكن أجرؤ على طرح هذه الأسئلة بصوت عالٍ.

في أحد الأيام، سمعت أمي تقول لنفسها بصوت خافت: "إحنا ملناش حد غير بعض." كانت كلماتها تؤلمني. لم يكن لدينا أحد نلجأ إليه، لا عائلة ولا أصدقاء. كنا نعتمد فقط على بعضنا البعض. كنت أشعر بالوحدة أحيانًا، لكنني كنت أعرف أنني يجب أن أكون قوية من أجل أمي وأختي

حياتنا استمرت بشكلها العادي بعد كل الصعوبات. لم يكن هناك تغييرات كبيرة في البداية، لكن الزمن كان يحركنا ببطء نحو مستقبل مختلف. انتقلنا من بيتنا القديم إلى شقة أكبر. شعرت حينها بشيء من الراحة. أصبح لي غرفة خاصة، مساحة صغيرة أستطيع أن أكون فيها وحدي، بعيدًا عن الضغوط والمسؤوليات. كنت أجلس فيها لساعات طويلة، أحاول أن أكتشف نفسي، أن أفهم من أنا وماذا أريد رغم تحسن ظروفنا قليلًا، لم أكن أشعر بالسعادة أو الإنجاز. كنت أحاول باستمرار أن أكون أفضل، أن أثبت لنفسي وللآخرين أنني قادرة على النجاح. بدأت أخوض تجارب مختلفة، أتعلم أشياء جديدة، لكنني كنت أشعر بالفشل في كل مرة. كنت أحاول الطهي، فتكون النتيجة أقل من المتوقع. أبدأ في تعلم مهارة جديدة، فأفقد الحماس سريعًا. شعرت وكأنني أدور في دائرة مغلقة، لا أجد فيها مخرجًا داخل البيت، لم يكن أحد يعاملني بطريقة تجعلني أشعر بالتميز أو الأهمية. كنت دائمًا أسمع الانتقادات. "ليلى مش بتعرف تعمل حاجة صح." "انتي دايمًا بتفشلي." كنت أتحمل هذه الكلمات بصمت، لكن كل كلمة كانت تترك أثرًا عميقًا في نفسي. بدأت أرى نفسي من خلال أعينهم، وأصدق أنني لا أستحق التقدير أو الحب

حتى أمي، رغم حبها الكبير لي، كانت غارقة في مسؤولياتها وتعبها، فلم يكن لديها الوقت لتشعرني بالاهتمام الذي كنت أحتاجه. أختي الصغيرة كانت تعتمد عليّ كثيرًا، لكن حتى هي لم تكن تدرك ما أشعر به. كنت أشعر أنني مجرد جزء من خلفية حياتهم، شخص موجود لكنه غير مرئي.

مع الوقت، بدأت أفكر بشكل مختلف. قلت لنفسي: إذا لم أجد الحب والتقدير من الآخرين، ربما عليّ أن أبحث عنه بنفسي. بدأت أحاول أن أحب نفسي، أن أقبل ضعفي وفشلي كجزء من رحلتي. لكن لم يكن الأمر سهلًا. كنت أعود دائمًا إلى نفس النقطة.

(الشعور بالفراغ)

في أحد الأيام، وبينما كنت جالسة في غرفتي أتأمل السقف، قررت أن أجرب شيئًا جديدًا. قررت أن أبحث عن الحب. لم أكن أعلم ما يعنيه ذلك تمامًا، لكنني كنت أشعر بحاجة عميقة لأن أشارك حياتي مع شخص يفهمني ويحبني كما أنا. كنت أبحث عن شخص يرى فيّ شيئًا مختلفًا، شيئًا لم أره حتى أنا في نفسي.

بدأت أفتح قلبي للعالم من حولي. كنت ألتقي أشخاصًا جددًا، أتعرف عليهم، وأحاول أن أكتشف إذا كان هناك من يمكنه أن يملأ الفراغ الذي بداخلي. كنت أخوض هذه التجارب بحذر، لكنني كنت أحيانًا أتعرض للخذلان. كنت أظن أنني وجدت الحب، لأكتشف بعد فترة أنني كنت مجرد خيار مؤقت في حياة الآخرين

كل مرة كنت أعود إلى غرفتي أشعر بالخيبة. كنت أفكر: هل المشكلة فيّ؟ هل أنا غير كافية؟ لكن في نفس الوقت، كنت أتعلم من كل تجربة. كنت أكتشف المزيد عن نفسي، عن قوتي وضعفي، عن احتياجاتي وما أستحقه ثم، في يوم ما، تعرفت على شخص مختلف. كان هادئًا، يتحدث بثقة، وينظر إلي بطريقة لم أعتدها من قبل. لم يكن يرى فيّ الفشل أو الضعف، بل كان يرى شخصًا قويًا، مليئًا بالقدرة على التغيير والنجاح. لأول مرة، شعرت أن هناك من يفهمني حقًا

بدأنا نتحدث كثيرًا، وكنت أجد في حديثنا نوعًا من الراحة. كنت أشارك معه مخاوفي وأحلامي، وهو كان يستمع دون حكم أو نقد. شعرت أنني أخيرًا وجدت من يرى فيّ قيمتي، من يساعدني على رؤية الجوانب المشرقة في نفسي مع مرور الوقت، بدأت أتعلم أن الحب لا يعني أن نجد شخصًا يكملنا فقط، بل أن نجد شخصًا يعكس لنا أفضل ما فينا. من خلال علاقتي به، بدأت أحب نفسي أكثر. لم أعد أرى الفشل كعدو، بل كجزء من رحلتي نحو النجاح. بدأت أستمتع بتجارب الحياة، حتى وإن لم تكن مثالية.

رغم أنني لا زلت أواجه بعض الصعوبات، أصبحت أكثر تصالحًا مع نفسي. بدأت أرى أنني لست بحاجة إلى إثبات قيمتي لأحد، لأنني مهمة كما أنا. لم يكن الأمر سهلًا، ولم أصل إلى هذه المرحلة بين ليلة وضحاها، لكنه كان تحولًا جعلني أشعر أخيرًا أنني على الطريق الصحيح . او ربما صحيحاً

(لم يكن الحُبّ حلالاً)

لم أكن أعلم أن للحُبّ وجهاً غير حلال، أن يختبئ خلف كلماته عتمة قاسية. كنت أصدق أن الحب طاهر، لا يؤذي، حتى دخل حياتي مثل السكين. كنت فتاة تلاحق الأحلام، تزرع الورود في أرض جرداء، ولم أفكر يوماً أني سأجد نفسي تحت ظلال من الألم.

أبي، رجل صارم، غُرسَ في قلبه غصن من خشب. لم يكن يعرف الحُبّ، لا يعترف به إلا كضعف. عشت تحت يديه مثل طائر بجناح مكسور. كانت نظراته كالصخور، وكلماته سياطاً. أتذكر ليالٍ طويلة كنت أخفي فيها دموعي، أضمّ نفسي كي لا أصرخ، وأقنع عقلي بأن هذا هو الحُبّ الذي يعرفه.

ثم جاء ذلك اليوم. يوم التقيت به. ظننتُ أني أخيراً وجدت النجاة. كان مثل نور شاحب في نهاية نفق مظلم. لم أكن أبحث عن فارس، كنت فقط أبحث عن مأوى. مدّ لي يده، ووعدني بالسماء. كنت أصدقه، رغم أن صوته يحمل أحياناً نفس النغمة التي كان أبي يستخدمها.

في البداية، كنت أرفض أن أرى ما هو واضح. أخبرني أن حُبّنا لا يحتاج إلى إعلان، أن العالم لن يفهمه. كنت فتاة تبحث عن أي حب، حتى لو كان بالخفاء. استسلمت، ظننت أن هذا هو الثمن.

لكن الأيام كشفت قسوته ببطء. كان يغضب إذا لم أُجِب على مكالماته فوراً، يهدد بالرحيل إذا شك أني لم أعد أطيعه. كنت أخشى خسارته، لأنه كان الدفء الوحيد في عالمي البارد. لكنه لم يكن دفئاً، كان ناراً تحرقني من الداخل.

بدأت أدرك أنني أعيش قصة قديمة. أبي الذي كان يعلمني أن الحب ضعف، كان أكثر رحمة من هذا. لكن هل أستطيع الهرب؟ كنت أريد الهروب منذ الطفولة، ولم أستطع. والآن، وجدت نفسي في نفس القفص، فقط بأيدٍ مختلفة.

وفي يومٍ مشؤوم، انفجر كل شيء. الكلمات التي كان يهمس بها تحولت إلى صرخات. عرفت حينها أنني كنت أعيش في كذبة. لم يكن حباً، كان حباً غير حلال، مؤذياً وقاتلاً. تركني مكسورة، لكنه فتح عينيّ.

الآن، وأنا أجلس هنا، أكتب قصتي، أدرك أنني لم أكن الضحية الوحيدة. هناك نساء كثيرات مثلي، عشن حباً ملطخاً بالخوف. ربما لن يسمع أحد قصتي، لكنني أكتبها لأجل نفسي، لأجل ذلك الطائر الذي أراد أن يطير لكنه لم يستطع.

الحب ليس خطأ. لكن الحب غير الحلال هو أكبر الخطايا.

(الحُبّ المكسور)

كنت طفلة حين عرفته. كان ابن الجيران، قُربه كان كأقرب النجوم، مُضيئاً ودافئاً. كنا نركض في شوارع الحي، نرسم أحلاماً على أسوارٍ متهالكة، ونضحك على أصواتنا المتقطعة ونحن نحلم بالغد. كنت أرى الحياة من خلاله ورديةً، كل شيء كان بسيطاً وجميلاً. كبرنا معاً، وكان حُبي له يكبر معي. لم أكن أعرف الحب إلا باسمه. كان أول من عانقت معه مشاعري، وأول من كسرت من أجله قوانين البيت الصارمة. أهداني وعداً كاذباً، وكان الوعد أجمل من الحقيقة. أخبرني أنني سأكون زوجته، وأننا سنبني معاً حياة لا تشبه حياة الآخرين. لكن الحلم بدأ يتصدع. كنت أشعر بأشياء لا أستطيع تفسيرها، كلمات ناقصة ونظرات بعيدة. كان يتغير ببطء، ولم أستطع أن أراه على حقيقته. أعطيت له كل وقتي، ضيعت سنوات من عمري أزرع فيها أحلاماً على أرض قاحلة، وكان هو يُجيد زراعة السراب. ثم جاء اليوم الذي انكسر فيه كل شيء. واجهته بما كنت أشعر به، لم أكن أريده أن يرحل. تجرأت أن أطلب منه البقاء، رغم أنني كنت أرى البُعد يتسلل بيننا. لكنه لم يتردد، قالها ببرود: "أهلي مش عايزينك، ميتشرفنيش أدخل بيت مفيهوش راجل." كانت كلماته كالسيف، قطعت أوتار قلبي دفعة واحدة. ظننتُ أن الألم انتهى عند تلك اللحظة، لكن الألم الحقيقي كان بعدها. لم يكتفِ بالرحيل، بل تركني غارقة في الظلام. بدأ يُلقي عليّ اتهامات قاسية، كلمات تخدش روحي وتُدميها. أهانني في شرفي، جعلني أرى فيه شيطاناً يقتات على ضعفي. لم أكن أصدق أن من أحببته يوماً قادر على هذا. كانت الدنيا تظلم شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت عالماً مظلماً بلا ألوان. كنت أتساءل، أين ذلك الفتى الذي أحببته؟ أين الوعود؟ أين الأيام التي كنا نحلم فيها بمستقبل مشترك؟ لكن الألم علمني. لم يكن الأمر سهلاً، كان عليّ أن أتعلم كيف ألملم شظاياي، أن أخرج من الظلام وحدي. عرفت حينها أن الحُبّ لا يكفي، وأن الثقة حين تُنكسر، لا يمكن استعادتها. لم يكن الأمر عن أهله، بل كان عن ضعفه، عن جبنه في مواجهة حُبّنا اليوم، أنا أقف أقوى، لكن الندوب ما زالت تُذكّرني. ليست كل الأحلام تُولد لتعيش، وبعض الأحلام يجب أن تموت كي نتعلم كيف نعيش بواقعية. لم أعد أبحث عن الوردية، بل أبحث عن حقيقة تُشبهني، عن حُبّ يُشبه النور، لا يُطفئني

بعد أن تركني، لم أعد أنا. شعرت وكأن الحياة تسحبني نحو هاوية بلا قاع. كل شيء في الحي أصبح مختلفاً. الأماكن التي كنا نلتقي فيها، الضحكات التي كانت تملأ الأزقة، كلها أصبحت شاهدة على خيانته كنت أجلس في غرفتي لساعات طويلة، أفكر فيما حدث. كيف يمكن لشخص أن يتغير بهذه السرعة؟ كيف يستطيع أن يُبدل وعوده بالخيبة؟ الأسئلة كانت تلتهمني، لكن الإجابات كانت غائبة.

لم أستطع الهروب من نظرات الناس. كلما خرجت من البيت، كنت أشعر بأن كل العيون تلاحقني، كل الهمسات كانت تصل إلى أذني. أصبح الحي ضيقاً، خانقاً. لكنني لم أكن أملك خياراً آخر. لم أستطع أن أترك المكان الذي نشأت فيه، المكان الذي يحمل كل ذكرياتي، حتى وإن كانت الآن مؤلمة مرت الأيام، وكان الألم يزداد ثقلاً. في البداية، كنت

ألوم نفسي. هل أخطأت؟ هل كنت ساذجة؟ هل أعطيته أكثر مما يستحق؟ لكن مع مرور الوقت، بدأت أرى الأمور بوضوح أكبر. المشكلة لم تكن فيّ. المشكلة كانت فيه، في ضعفه، في خوفه من مواجهة العالم بحُبّنا في أحد الأيام، التقيت بصديقتي "هالة"، التي لم أكن أراها منذ فترة. جلست بجانبي وقالت:

"الحياة مش بتقف عند حد. انتي قوية، وأقوى من اللي كسر قلبك. الناس هتتكلم، بس الكلام بيموت مع الوقت. المهم، انتي تقومي من اللي انتي فيه كانت كلماتها بمثابة شرارة. لم أكن أحتاج إلى الكثير، فقط دفعة صغيرة لأبدأ في النهوض.

بدأت أعود تدريجياً لحياتي الطبيعية. كنت أخرج أكثر، أشارك في تجمعات الحي، وأتحدث مع الناس. لم أكن أفعل ذلك لأثبت لهم شيئاً، بل لأثبت لنفسي أنني ما زلت قادرة على الاستمرار.

وذات يوم، جاءني خبر لم أكن أتوقعه. الشخص الذي خذلني تقدم لخطبة فتاة أخرى في الحي. كان وقع الخبر صادماً، لكنه لم يؤلمني كما توقعت. على العكس، شعرت براحة غريبة. كأن القدر يريد أن يُريني أن الحياة تمضي، وأن الأشخاص الذين لا يستحقوننا يرحلون ليتركوا لنا مساحة لنعيش من جديد لم أعد أحمل له أي مشاعر. لم أعد أكره، ولم أعد أحب. أصبح مجرد ذكرى بعيدة، جزءاً من قصة انتهت. تعلمت أن القوة الحقيقية ليست في الانتقام أو إثبات شيء للآخرين، بل في قدرتي على المضي قدماً، رغم كل شيء الحب لم يعد بالنسبة لي مجرد حلم وردي. أصبح درساً علمني أن أضع نفسي أولاً، وأن أثق بمن يستحق ثقتي. والأهم من ذلك، علمني أنني، حتى في أصعب اللحظات، أستطيع أن أجد النور داخلي

(السقوط والنهوض)

بعد خيبتي الأولى، كنت أحاول أن أهرب من الألم بأي طريقة. انغمست في الحياة، محاولاً أن أنسى، أن أدفن الذكريات. بدأت أقترب من صديقاتي أكثر، خاصة "ماهي"، التي كنت أعتبرها أختي. كانت ماهي مختلفة، جرأتها كانت تلفت الانتباه، وكأنها تعيش في عالم لا يعرف القيود.

مع الوقت، بدأت أعمل في عيادة تجميل. كانت حياتي تتغير بسرعة. المال أصبح يتدفق، وبدأت أعيش بأسلوب مختلف. ابتعدت عن ربي شيئًا فشيئًا، تخلّيت عن حجابي، وبدأت أرتدي الملابس القصيرة. كنت أحاول أن أصلح مظهري الخارجي، بينما داخلي كان يزداد تآكلاً المال جعلني أشعر بالقوة، لكن القوة كانت زائفة. مع "ماهي"، كنت أدخل في دوامة لم أفهمها. هي التي عرّفتني على طرق جديدة للهروب من الحقيقة، وجعلتني أصدق أن الحياة يمكن أن تُبنى على مظهر جذاب وأسلوب جريء في أحد الأيام، بينما كنت في مكتب ماهي، دخل شاب وسيم. كان يبدو وكأنه خرج من حلم. بدأنا نتحدث، وكانت المحادثات تستمر لساعات. كان يدعى "ياسين"، وكان يبدو أنه الرجل الذي كنت أنتظره. أخبرني عن إعجابه، وعن رغبته في أن يكون معي. أخيراً، شعرت أنني وجدت "العوض" الذي سيعيد لي كرامتي وسعادتي أعلنت الخبر للجميع. أخبرت أمي، التي لم ترَ فرحتها منذ وقت طويل. كنت أرى في عينيها أملاً جديداً. أخيراً، ستتزوج ابنتها وتبدأ حياة مستقرة. لكن الفرحة لم تدم في يوم الخطوبة، انتظرت طويلاً، لكنه لم يأتِ. لم يظهر، ولم يرد على اتصالاتي. تحولت الفرحة إلى صدمة، والصدمة إلى إحراج. الجميع كان يتساءل، وأمي كانت تحاول تهدئتي، لكنني كنت في حالة من الانهيار ثم جاء الاتصال الذي غير كل شيء. كانت ماهي. صوتها كان بارداً، كأنها تستمتع بدماري. قالت:

"تستاهلي. كنت فاكرة نفسك إيه؟ أنا بكرهك."

لم أصدق. كيف لشخص اعتبرته أختي أن يفعل بي هذا؟ كيف تخطط مع رجل لتدميري؟ لم أجد إجابة، فقط انهيار. دخلت المستشفى بعد تلك الليلة. جسدي لم يحتمل، وقلبي كان في حالة يرثى لها.

في أصعب لحظاتي، لم أجد أحداً بجانبي سوى أمي. كانت تمسك بيدي، تدعو لي، رغم كل شيء. رأيت في عينيها الألم الذي تسببت فيه، وشعرت بالخجل بعد خروجي من المستشفى، قررت أن أواجه ماهي. سألتها: "ليه؟ ليه عملتي كده؟"

نظرت إلي ببرود وقالت: "لو رجع الزمن، هعمل كده تاني." كانت كلماتها كالسهم الذي أصابني في الصميم. لكن تلك المواجهة كانت نقطة التحول. أدركت أنني كنت أعيش في وهم، وأن ما حدث لي كان رسالة من الله. بدأت أغير حياتي. قطعت علاقتي بماهي وكل من يشبهها. عدت إلى الله، أطلب رحمته وغفرانه. قررت أن أبدأ من جديد، أن أبحث عن صحبة صالحة، وأن أعيش حياة ترضيه.

اليوم، أنا أقف أقوى. تعلمت أن الحياة مليئة بالدروس، وأن كل سقوط يحمل في طياته فرصة للنهوض. لم أعد أبحث عن العوض في البشر، بل أبحث عنه عند الله. فهو وحده

القادر على أن يمحو أوجاع الماضي، ويمنحني الأمل في المستقبل ولكن ف كل مرة كنت أسقط، كنت أعود للوم نفسي، وكأن دائرة لا نهاية لها تحيط بي. كنت أقول لنفسي: هذه المرة الأخيرة، لن أكرر نفس الخطأ. لكن مع أول اختبار، كنت أجد نفسي في المكان ذاته، أكرر ذات الغلطة، وكأنني أتعمد السير في نفس الطريق المظلم.

كنت أشعر وكأن إيماني بربنا ضعيف، هشّ، لا يقوى على مقاومة الإغراءات أو الضغوط. كلما قررت أن أستقيم، وجدت نفسي أمام تحدٍ جديد يعيدني إلى الوراء. كنت أتعب، أقاوم، وأقوم أقوى، لكن سرعان ما تعود الحياة لتجذبني إلى القاع. لم أكن أفهم لماذا يحدث ذلك، لماذا لا أستطيع أن أكون ثابتة؟ كنت أبحث عن الإجابة في داخلي، في صلواتي، وفي كل مرة كنت أجد جزءًا من الحل. الحقيقة هي أن الإيمان رحلة، وليس محطة. كنت أعتقد أن التوبة قرار ينهي كل شيء، لكنني تعلمت أن التوبة تحتاج إلى صبر، وأن العودة إلى الله ليست خطًا مستقيمًا، بل طريق ملىء بالتعرجات بدأت أفهم أن الله لا ينتظر مني الكمال، بل ينتظر مني أن أعود إليه في كل مرة أضعف فيها. تعلمت أن الضعف جزء من إنسانيتي، وأن القوة الحقيقية هي في الاستمرار، في العودة، مهما سقطت في كل مرة كنت أعود فيها للخطأ، كنت أشعر بألم أكبر، لكنه كان درساً جديداً. كان الله يعطيني فرصة لأتعلم، لأفهم، لأصبح أكثر وعياً بنفسي وبنقاط ضعفي. قررت أن أكون أرحم مع نفسي. بدأت أضع حدوداً، وأبحث عن أدوات تساعدني على الثبات. أحطت نفسي بأشخاص يدفعونني للأفضل، وابتعدت عن كل ما كان يغويني أو يسحبني للخلف أدركت في النهاية أن المهم ليس كم مرة نسقط، بل كم مرة ننهض بعدها. وأن الله لا يملّ منا، بل يفرح بعودتنا في كل مرة. الآن، عندما أضعف، أذكر نفسي بأن الرحلة لم تنتهِ، وأن كل خطوة، مهما كانت صغيرة، تقربني من النور الذي أبحث عنه

(خيبات متكرره)

كانت الحياة دائماً تريني وجهاً جديداً من الألم، حتى اعتدت أن أحمل ثقل السنين وحدي. مرّت الأيام، وكبرت أختي بسمة، تلك الطفلة التي احتضنتها ورعيتها كأم ثانية. أصبحت الآن شابة في الجامعة، تتألق في حياتها، وتحقق ما كنت أحلم به لها. عندما خُطبت بسمة، شعرت بفرحة عميقة. كانت هي سندي، صديقتي الوحيدة، ورؤية حياتها تسير في طريقها الصحيح كان العزاء الوحيد لي. كنت أراقبها بفخر في يوم زفافها، يومٌ كان من المفترض أن يكون مليئاً بالسعادة فقط، لكنه جلب معه ظل الماضي. فجأة، ظهر أبي. الرجل الذي اختفى منذ سنوات، تاركاً وراءه أمي وأنا وبسمة نتخبط في الحياة. لم يكن في الحسبان أن يعود، ولم نكن نعرف ماذا يريد. ظهوره في يوم زفاف بسمة أثار التساؤلات، ليس فقط بيننا، بل بين كل من يعرف قصتنا. لكن المفاجأة الأكبر لم تكن في عودته وحده، بل في ظهور إخوتي الآخرين. إخوتي الذين لم أرهم منذ سنوات، وكأن الزمن اجتمع فجأة ليعيدنا إلى الوراء. في لحظة، كنا جميعاً تحت سقف واحد. لكن ذلك الشعور الدافئ بالأسرة لم يظهر أبداً. في يوم الزفاف، احتضننا أبي، لكن قلوبنا كانت بعيدة، كأننا نعانق غريباً. عدنا إلى البيت، ونحن نحمل شعوراً غريباً بين الحيرة والخوف. أمضى أبي الليلة معنا، لكننا كنا نقفل أبواب غرفنا بإحكام، غير واثقين مما يخبئه وجوده بيننا. في البداية، ظنت أمي أن عودته بعد كل هذه السنين هي محاولة للتكفير عن ذنوبه، لتعويضنا عن غيابه. لكنها كانت مجرد أوهام. سرعان ما اكتشفنا أنه مدمن على المخدرات، وأن سمعته السيئة باتت على كل لسان في الحي. مع الوقت، بدأ إخوتي يبتعدون عنا. لم يعودوا يحبوننا كما كنا نأمل، بل بدأوا يلقيون اللوم علينا، وكأننا السبب في تدهور حاله. كنت أنا الكبرى، فكان اللوم الأكبر موجهاً لي. اتهموني بأنني السبب في كل شيء، قالوا إنني عار على العائلة، وأن وجودي معهم هو ما أوصل أبي لهذا الحال. كان ذلك الطعن أشد قسوة من أي شيء مررت به من قبل. كنت دائماً أعتقد أن الإخوة هم السند، هم العوض الذي يمكن أن نعتمد عليه عندما تخذلنا الحياة. لكن حتى هذا العوض ذهب. في كل مرة كنت أنظر إليهم، كنت أتساءل: كيف يمكن أن يجف الحب هكذا؟ كيف يصبح الإخوة غرباء بل وأعداء؟ لم أكن أبحث عن الكثير، فقط عن لمسة حنان أو كلمة تُشعرني بأنني لست وحيدة. لكن حتى ذلك بات مستحيلاً. لم يبقَ لي الآن سوى بسمة، وأمي. هما كل عالمي. أدركت أنني مهما حاولت، هناك أمور في الحياة لا يمكن إصلاحها. قد نخسر أشخاصاً كانوا يوماً الأقرب لنا، لكن الله يعوضنا بقلوب أخرى، بقلوب صافية تحبنا بصدق. اليوم، أعيش لأجل أمي وبسمة. أصبحت أعلم أن العائلة ليست دائماً رابطة الدم، بل هي من يبقى بجانبك عندما يتخلى عنك الجميع. لقد خذلتني الحياة مرات كثيرة، لكنني لن أخذل من بقي معي. سأكون السند الذي لم أجده يوماً، وسأعيش لأمنحهم الأمان الذي كنت أفتقده

(فضفضة)

أحيانًا، بيني وبين نفسي، بشعر وكأنني فقدت القدرة على الرد على الحياة بالطريقة التي اعتدت عليها. في الأوقات التي كنت فيها أنفجر بحرية أو أسمح لنفسي أن أعيش الزعل، اليوم أجد نفسي غريبة على نفسي، وكأن هناك حاجز بيني وبين مشاعري. لا أستطيع أن أُظهر الغضب أو الحزن كما كنت أفعل في الماضي، ولا حتى الألم يخرج مني بنفس الطريقة. كأنني أصبحت شخصًا آخر، شخصًا لا يعرف كيف يعبّر عن نفسه، وكأنني أقف في مواجهة مواقف الحياة بلا طاقة.

ربما يكمن السبب في أنني كبرت. الكبر ليس فقط في العمر، بل في تجارب الحياة التي مررت بها. هذه التجارب التي جعلتني أرى العالم بطريقة مختلفة، وأشعر بنضج من نوع خاص، نضج يجبرني على التفكير قبل أن أتصرف، يجعلني أبحث عن التوازن حتى في أقوى اللحظات. لكن مع هذا النضج، يأتي أيضًا التعب. تعب ليس من العمل أو من الأشخاص فقط، بل تعب داخلي، تعب من الحروب التي خضتها مع نفسي ومع الآخرين. تعب من التفكير المستمر في كل شيء، من القلق الذي لا يتركني، ومن الأسئلة التي لا إجابة لها.

في بعض الأحيان، شعورنا بالضعف أو بالعجز أمام الحياة قد يكون نابعًا من خوفنا من مواجهة أنفسنا. يمكن أن يكون لدينا خوف داخلي من الحقيقة التي نعرفها جيدًا ولكننا نرفض الاعتراف بها. الحقيقة التي يمكن أن تكون قاسية لدرجة أننا نبتعد عنها قدر ما نستطيع، نحاول تجنبها لأننا نعلم أننا لن نكون قادرين على تحملها إذا واجهناها. وكأننا نخاف من أن نكتشف أننا لا نملك القدرة على التحمل أو أن نفهم أننا في مرحلة لا يمكننا الرجوع فيها إلى الوراء. أحيانًا، يكمن الخوف في اعتقادنا أننا غير قادرين على تحمل المزيد، وأننا قد انهكنا من كثرة المحاولات السابقة.

ربما تكون هذه المرة أصعب من المرات السابقة. هذا الشعور بالضعف الغير معتاد، الذي يأتي بعد كل تلك المحاولات والخيبات السابقة، يجعلنا نشك في قدرتنا على الاستمرار. لكن، هل حقًا يمكننا أن نصل إلى نقطة النهاية؟ ربما تكون هذه المرة هي آخر اختبار لنا، لكن هل من العدل أن نقول إننا غير قادرين على تخطيه؟

في النهاية، ربما ندرك أن الحياة ليست دائمًا عن القوة أو الانتصار. ربما أحيانًا تكون الحياة عن القدرة على أن نكون صادقين مع أنفسنا، أن نسمح لأنفسنا أن نمر بالحزن والتعب والضعف، دون أن نشعر بالخجل من ذلك. الحياة لا تنتظر أحدًا، وكل لحظة تأخذنا إلى مرحلة جديدة من النمو. قد نكون متعبين اليوم، لكن غدًا قد نكتشف أن هذه المرحلة كانت بمثابة نقطة التحول التي جعلتنا نرى أنفسنا والعالم بطريقة أكثر عمقًا.

(حب جديد وآمل مفقود)

وها أنا، بعد 26 سنة من الحياة التي كانت مليئة بالإحباط والاكتئاب، وكأن كل عام كان يمر عليّ كحجر ثقيل على قلبي. سنوات من محاولات الحب التي فشلت، ومن علاقات انتهت قبل أن تبدأ، ومن إحساس دائم بالعزلة. كنت في حالة من الضياع النفسي، لا أرى طريقًا ينقذني من هذا الألم. وكلما تقدّم لي أحد العرسان، كنت أرفضهم بشكل قاطع، كأنني أُسجن داخل جدران قلبي التي بنيتها حول نفسي خوفًا من أن أتألم مجددًا.

كنت أرى أنني لا أستحق الحب، أو ربما كنت أخاف أن أفتح قلبي مرة أخرى، لأنني كنت قد مررت بالكثير من الخيبات في الماضي. كل شيء حولي كان يذكرني بالفشل، وبأنني لم أجد الشخص الذي يفهمني أو يحبني بطريقة حقيقية. أمي، التي كانت ترى في عينيّ حزنًا كبيرًا، كانت تتمنى لو أنني أفتح قلبي للحياة مرة أخرى. وفي إحدى الليالي، اقتربت مني واحتضنتني بحب غير مشروط وقالت لي: "يا بنتي العمر مفيهوش كتير، وأنا نفسي أفرح بيكي". كانت كلماتها كالسهام التي اخترقت قلبي، شعرت بها كما لو كانت تعاتبني في حب، كانت تتمنى أن أجد سعادتي، وكانت تنظر إليّ بحنين وترقب.

لكن في تلك اللحظة، لم أكن أظن أن السعادة قد تكون قريبة مني، وأنني سأكون على أعتاب علاقة قد تغير كل شيء. في تلك الفترة، كنت قريبة من شخص كان يعمل معي في نفس المكان، وكان في السابق خاطبًا. لم أكن أعلم أنه فسخ خطوبته، ولم أكن أعلم أيضًا أن حياتي على وشك أن تتغير بسببه. بدأنا نتقارب، شيئًا فشيئًا، وكلما تحدثنا معًا، كلما اكتشفت في شخصيته جوانب كنت أفتقدها في حياتي. كان شخصًا مختلفًا، يحمل قلبًا صادقًا، وكان شعورًا غير تقليدي بالنسبة لي. لم يكن هذا الحب مثل ما مررت به في الماضي، كان حبًا حقيقيًا. لم يكن حب الطفولة الذي يتلاشى مع مرور الزمن، ولا حب الصالونات الذي غالبًا ما يكون مجرد تقليد اجتماعي. كان حبًا نابعا من القلب، حبًا صافيًا، بلا أقنعة ولا تلاعب.

كنت أفتح قلبي له بالكامل، كان يبدو لي كأنني وجدت فيه الأمان والصدق اللذين كنت أبحث عنهما طوال سنوات. كنت أراه ليس فقط شخصًا عاديًا، بل شخصًا يمكنني أن أبني معه مستقبلي، كان يمثل لي العالم كله. كنت أخاف من أي شيء قد يعكر صفو هذه العلاقة، حتى عندما كانت حياتي تُعرض للاختبارات. وعندما تلقيت مكالمة من الفتاة التي كان خاطبًا لها، وأخبرتني أنني يجب أن أبعد عنه لأنه "شخص مش كويس"، كنت في البداية في حالة من الصدمة. كيف؟ كيف يمكن لشخص مثل هذا أن يكون غير جيد؟ كيف يمكن أن يكون الرجل الذي أحبه بهذه الطريقة مجرد شخص لا يستحق؟

كنت في البداية مشوشة، لكنني قررت أنني لن أسمح لهذه المكالمة بأن تزعزع إيماني بما أشعر به. فكرنا معًا بشكل متشابه، كنا نرى الحياة بنفس الطريقة. أهله كانوا يشبهون عائلتي، كانت العادات والتقاليد التي نشأنا عليها متشابهة. كان يشعرني بأنني لست وحدي

في هذا العالم، وأنني وجدت أخيرًا من يشاركني أفكاري وأحلامي. كنت أعلم أن ما بيننا كان حقيقيًا، وأنني لا أستطيع أن أتركه لمجرد كلمات من شخص آخر. كان بالنسبة لي الأمل في هذه الحياة، وكأنني وجدت فيه كل شيء كنت أبحث عنه.

وعندما تحدثت إليه عن هذه المكالمة، وقلت له بكل حزم: "أنا معاك، مهما كان"، كان في عينيه نظرة من الفهم والاحترام. كان يقدّر مشاعري، وأراد أن نبني معًا علاقة قائمة على الثقة والحب الحقيقي. وكنت على يقين أنه الشخص الذي كنت أنتظره طوال حياتي.

ثم بدأنا نتحدث أكثر عن حياتنا وماضينا، وبدأت أفهمه بشكل أعمق. عرفته أن والدي ليس معنا، وأنه لا يعيش معنا. ربما كانت هذه هي اللحظة التي بدأ فيها عقلي وقلبي يتساءلان: "هل سيكون هذا الشخص هو الذي يمثل لي الأب والسن والظهر الذي كنت أبحث عنه؟" فكرت في الأمر كثيرًا. هل من الممكن أن يأتي شخص آخر ليحل محل الأب الذي فقدته في حياتي؟ لكنني أدركت في النهاية أنه ليس هناك شيء يمكن أن يعوضني عن والدي، لكن ربما يكون هذا الشخص هو من سيكون له مكان في حياتي، مكانة من نوع خاص.

كنت أجد فيه الراحة والطمأنينة التي كنت أفتقدها، كأنني وجدت عائلتي في شخصه، وكأن الحياة قد بدأت تأخذ شكلاً آخر مع وجوده فيها. كانت مشاعر الحب تتعمق بيننا، وكان كل شيء يبدو وكأن الحياة قد منحتني فرصة جديدة، فرصة للسعادة. كنت متأكدة أن هذا ليس مجرد حب عابر، بل هو شيء كبير، شيء لا يمكن أن يمر بسهولة. كنت أعلم أننا سنواجه تحديات كثيرة في المستقبل، ولكنني كنت على استعداد لمواجهتها معه.

في يوم من الأيام، ونحن بنتكلم عن كل حاجة في حياتنا، جالي مكالمة منه وهو بيقول لي، "أنا جاي أقابل ماما يا ليلي علشان أقدملك." في لحظة ما كنتش هقدر أوصفلك شعوري، كنت في غاية السعادة، وفي نفس الوقت قلبي كان بيرقص من الفرح. كأن كل شيء في الدنيا وقف لثانية، وكل شيء بقى واضح قدامي. ما كنتش مصدقة، لأن اللحظة دي كانت بتعني لي كل شيء. هو جاي علشان يطلبني، علشان يخطو خطوة جادة في علاقتنا، علشان نبدأ طريقنا مع بعض. حسيت إني في حلم، حلم قد يتحقق أخيرًا.

جريت على أمي وأنا مش قادرة أتمالك نفسي. كنت فرحانة جدًا، عيني كانت بتلمع من السعادة وأنا بقولها، "مازن جاي يا ماما بكره، وعايز يقابلك." أمي كانت في البداية مصدومة شوية، ولكن بعدين ابتسمت وقالت لي: "إن شاء الله خير." كنت حاسة إن اليوم ده هيكون بداية حاجة جديدة، حاجة عظيمة. بقلبي كنت حاسة إنه اليوم ده هيغير كل شيء في حياتنا.

مشيت بسرعة علشان أجهز نفسي للقاء. نزلت على طول لشراء فستان جديد، وكنت حابة إن اليوم ده يبقى مميز جدًا. كنت عارفة إنه حيلاحظ كل حاجة، كل التفاصيل الصغيرة، فكنت حريصة إني أظهر بأحسن شكل. الفستان كان بسيط وجميل، لونه كان هادئ وكان بيحاكي شخصيتي. وحطيت شعري زي ما كنت حابة، نازل على ضهري كالعاده، مع

طرحة خفيفة من فوق. كنت حاسة إني أكمل الصورة اللي حلمت بيها. شعرت إن كل شيء كان في مكانه تمامًا، وأني جاهزة للخطوة الكبيرة دي في حياتي.

وفي الوقت ده، كنت محضرة البسبوسة اللي هو بيحبها، كنت عارفة إنه لو جربها، هتكون أول حاجة هتسعده في الزيارة دي. كانت بسبوسة بسيطة لكن معمولة بحب، وكل لقمة فيها كانت بتعبر عن كل ما كنت أود قوله، من غير ما نحتاج كلمات. كان عندي إحساس داخلي إن اليوم ده هيكون رائع، وكل شيء فيه هيكون مليء بالحب والسعادة.

وصل مازن وأهله، وكانت أمه وأخته معاه. كلهم كانوا مبسوطين جدًا بالزيارة، وكانوا بيبصوا لي كأنهم شايفين فيا شيء مميز. كان الجو كله مليان بالبهجة، أمي كانت فرحانة بوجودهم، وأنا كنت مش قادرة أوقف عن الابتسامة، لأن كل شيء في المكان كان مبشر بالخير.

وفي اللحظة دي، لما شفته، عيونه كانت بتقول لي كل شيء. لما بص ليا وهو بيقول لي: "إيه ده؟ إيه القمر والجمال ده؟ أنا مشفتش كده قبل كده!"، كنت حاسة إن الدنيا كلها اتوقفت. مش بس عيونه، لكن كلماته كانت ليها تأثير غير طبيعي عليّ. كان كأنه بيعبر عن كل مشاعره بطريقة صادقة جدًا. مش هنسى نظرة عيونه ليا في اللحظة دي، كانت مليانة حب، إعجاب، وفخر. كنت حاسة إنه بيشوفني بشكل مميز، وإنه بيحس إنني حاجة قيمة جدًا في حياته.

أمه وأخته كانوا كمان فرحانين بيا جدًا. كانوا بيبصوا عليّ بإعجاب، وكانوا مبسوطين بكل شيء. شعرت في تلك اللحظات إننا مش بس اتقابلنا، لكننا كأننا دخلنا مرحلة جديدة من حياتنا. كنت شايفة في عيونهم أنهم متقبلينني ومبسوطين بيّ. كان يوم مليان بالفرح والابتسامات، وفيه إحساس حلو إن العيلة كلها متجمعة مع بعض.

بعد ما قضينا وقت جميل مع بعض، وبدأنا نتكلم في التفاصيل، كان في قلبي شعور كبير بالطمأنينة. لأول مرة كنت حاسة إننا نقدر نتكلم بصدق ووضوح عن المستقبل، عن كل شيء. ما كنتش حاسة بأي قلق، بالعكس كنت فرحانة جدًا. الكلام كان جاي من القلب، وكنت حاسة إنه بيحبني بصدق. لما تطرقنا لموضوع عائلتي، قال لي إنه يتفق مع أمي على كل شيء، خصوصًا إن والدي مش موجود، ومحدش معانا. ولكن أمي، اللي هي مصدر الأمان في حياتي، هي اللي هتكون مسؤولة عن كل حاجة.

وفي الوقت ده، كنت حاسة إننا فعلاً وصلنا لمرحلة جديدة من علاقتنا. بدأنا نخطط لخطوتنا الجاية مع بعض. قلت له: "تعال لوحدك في المرة الجاية علشان نتفق على كل التفاصيل مع ماما." كنت عارفة إننا لازم نتعامل بحذر واهتمام، وإن كل خطوة هتكون مهمة جدًا. أمي كانت حريصة جدًا على كل شيء، وكانت هي الضمان بالنسبة لي في كل قرار.

كنت حاسة بإننا مع بعض هنقدر نواجه أي تحدي. كنت شايفة في عيونه إنه بيحبني بصدق، وإنه مستعد يعمل أي شيء علشان يبقى معايا. كانت لحظة لا تُنسى، وكنت فرحانة جدًا بالتفاصيل الصغيرة والكبيرة في اليوم ده. مش هنسى أبدًا نظرة عيونه، وصوته وهو بيقول لي إنني أجمل حاجة شافها في حياته. كلماته كانت أغلى من أي هدية، وكانت بمثابة وعد لي بإنه هيكون دايمًا جنبي في كل لحظة.

مر أسبوع كامل، وكنت مستنية اليوم ده بفارغ الصبر. أخيرًا، جيه اليوم اللي مازن هيجي فيه لوحده علشان يقابل أمي ويتفقوا على كل حاجة. كنت مشدودة ومتلهفة أشوف ازاي الأمور هتمشي، وكنت حاسة بخوف بسيط جوايا، بس كنت مؤمنة إن كل شيء هيعدي على خير. لما وصل، كان شكله مليان جدية، لكن في نفس الوقت كانت ملامحه دايمًا فيها الحنية اللي تعودت أشوفها. دخل وقعد مع أمي، وبدأوا يتكلموا في التفاصيل.

الحوار كان واضح من البداية إنه مش هيكون سهل. أمي كانت عندها شوية طلبات وأفكار تخصني وتخص حياتنا مع بعض، وكان باين إن مازن مش متفق معاها بالكامل، لكن الغريب إن بدلاً من إنه يتراجع أو يرفض، كان بيحاول يقنعها بكل هدوء. كان بيقول لها إنه مستعد يعمل أي حاجة علشاني، وإنه شايف إننا مع بعض هنقدر نحقق كل حاجة نحلم بيها. كلماته كانت مليانة حب وتفاني، وكنت أنا واقفة ورا الباب، وقلبي بيترعش من كل كلمة بيقولها. كنت حاسة إنه فعلاً بيحارب علشاني.

بعد النقاش الطويل، حسيت إن الأمور بدأت تتجه نحو الأفضل. أمي وافقت على معظم اللي قاله، وهو وعدها إنه هيروح يتكلم مع أهله علشان يبلغهم بكل حاجة ويتفق معاهم على التفاصيل. في اللحظة دي، كنت حاسة بفرحة غامرة. أخيرًا الخطوة اللي كنا بنحلم بيها بقت قريبة جدًا. كنت حاسة إن الدنيا بتضحك لي، وإن كل حاجة ماشية في طريقها الصح.

لكن، للأسف، الفرحة دي ما استمرتش. بعد أيام قليلة، جت أمي وملامح وجهها كانت متغيرة، كانت عيونها بتقول حاجة مش كويسة. سألتها "في إيه يا ماما؟" لكنها ما ردتش على طول. فضلت تهرب من عيني لحد ما أخيرًا قالت لي: "ولدته كلمتني يا ليلي..." وقفت فجأة، قلبي بدأ يدق بسرعة، وقلت لها: "وقالت إيه؟" نظرت لي وقالت بصوت مهزوز: "قالت إنها مش موافقة."

في اللحظة دي، حسيت إن الدنيا كلها وقفت. مش قادرة أصدق اللي سمعته، إزاي؟ ليه؟ كل حاجة كانت ماشية تمام، وكنا خلاص بنحلم بيوم خطوبتنا. كنت حاسة إن الكلام ده مش منطقي، وإنه أكيد في حاجة غلط. ماما حاولت تهديني، لكن أنا كنت في حالة صدمة. مشاعر كتيرة كانت بتتخبط جوايا، مزيج من الحزن، والغضب، والخوف.

في الأول، فكرت إنها بتحاول تبعدني عن مازن بطريقة أو بأخرى، يمكن علشان مصلحتي. لكن لما بصيت في عيونها، شفت الصدق والحزن، وعرفت إنها بتقول الحقيقة. لكن برضو، ما كنتش قادرة أصدق. قررت أواجه مازن بنفسي، مش هقدر أستنى وأعيش في حيرة.

اتصلت بيه، وكنت بترجف من كتر التوتر. لما رد، صوتي كان مليان مشاعر، وقلت له: "مازن، قولي الحقيقة... أهلك مش موافقين؟" سكت لثواني، ثم قال بصوت حزين: "أيوه، يا ليلي، بس أنا بحبك، وعمري ما هسيبك." كلماته دي نزلت عليا كأنها طوق نجاة، لكن في نفس الوقت كنت حاسة إننا في معركة كبيرة. قلت له: "أنا مش هسيبك يا مازن، وأنا مستعدة أعمل أي حاجة علشان نكون مع بعض. أوعي تفكر تتراجع."

رد عليا وقال: "يا ليلي، أنا بحبك أكتر من أي حاجة في الدنيا، ومستعد أعمل أي حاجة علشانك. لكن سيبني شوية وقت، أنا محتاج أقنع أهلي. الموضوع مش سهل، لكن أنا مش هتنازل عنك." كلماته كانت مليانة ثقة وحب، لكن في نفس الوقت كنت حاسة بالخوف من المجهول. مازن كان واضح إنه في موقف صعب، وكان بين نارين: حبنا من ناحية، ورغبة أهله من ناحية تانية.

مرات كتير، كنت ببكي وأنا لوحدي، لكن في كل مرة كنت بفكر في عيونه، في كلماته، في وعوده. كنت متأكدة إنه مش هيخذلني. كل لحظة بينا كانت بتأكد لي إننا نستاهل نحارب علشان بعض.

الوقت اللي مر بعد المكالمة كان صعب جدًا. كنت بحاول أتمالك نفسي وأبقى قوية، لكن في نفس الوقت كنت بعيش على أمل إن كل حاجة تتحل. كنت حاسة إن حبنا أقوى من أي شيء، وإننا قادرين نعدي أي تحدي.

مرَّ يوم، ثم يومان، ثم أسبوع كامل، ومازن لم يتصل. كانت الأيام تمر بطيئة وثقيلة كأن الزمن توقف. شعرت وكأنني في عزلة تامة، محاصرة بالأسئلة التي لا أجد لها أجوبة. لماذا ابتعد؟ ماذا حدث فجأة؟ كنت أستعيد كل لحظة جمعتنا، كل كلمة قالها، محاولًة فهم ما الذي تغير. حاولت الاتصال به مرارًا وتكرارًا، أرسلت له رسائل طويلة مليئة بالقلق، بالشوق، ولكن الردود كانت غائبة تمامًا.

في البداية، كنت أحاول أن أبرر غيابه. ربما مشغول، ربما هناك ضغوط لا أعرفها. لكن كلما طال الغياب، كلما زادت الشكوك، وزاد معها الخوف. كان الصمت الذي يلفه يخنقني، وكنت أشعر أنني إن لم أتحرك الآن، سأفقده إلى الأبد.

ذات صباح، قررت ألا أظل مكتوفة الأيدي. ارتديت ملابسي وخرجت باتجاه مكان عمله. لم أكن أعلم ما الذي سأقوله، لكنني كنت أعلم أنني بحاجة لمواجهته.

عندما وصلت، انتظرته حتى انتهى من عمله. بمجرد أن رأيته يخرج، شعرت بأن قلبي يسرع نبضه. بدا عليه التوتر عندما لمحني، لكنني لم أتراجع. اقتربت منه وقلت بهدوء:

"مازن، ممكن نتكلم شوية؟ نتمشى لو سمحت."

تردد للحظة، ثم أومأ برأسه موافقًا. سرنا معًا في صمت لبعض الوقت، وكل خطوة كانت تثقل كاهلي. كنت أحاول جمع شجاعتي لبدء الحديث، لكنه كان يبدو وكأنه يغرق في أفكاره.

أخيرًا، لم أستطع التحمل أكثر. قطعت الصمت وقلت بصوت مليء بالقلق:

"مازن، إيه اللي حصل؟ ليه بعيد عني؟ ليه مش بترد على مكالماتي ولا رسايلي؟"

نظر إليّ، وعيناه تحملان شيئًا من الحزن والارتباك، ثم قال بصوت منخفض:

"ليلي، الموضوع بقى صعب... أهلي مش موافقين على طلبات مامتك."

توقفت فجأة وحدقت فيه بدهشة وصدمة:

"طلبات مامتك؟! مازن، مامتك ما طلبتش حاجة كبيرة، بالعكس، كانت متفاهمة جدًا معاك. إنت أكيد عارف ده!"

تنهد، وبدا وكأنه يحاول تجنب عينيّ، ثم قال:

"عارف يا ليلي، بس هما شايفين إن الطلبات دي كتير، وإنها مش مناسبة."

شعرت بغصة في حلقي، وحاولت كتم دموعي:

"كتير؟! إنت سامع نفسك؟ الطلبات كانت طبيعية جدًا، حاجات أي حد ممكن يوفرها. مازن، المشكلة مش في الطلبات، المشكلة إنك مش عايز تحاول أصلاً."

حاول أن يبرر، وقال بصوت خافت:

"مش كده، أنا حاولت، بس مفيش فايدة. أمي عندها وجهة نظر، ولازم أحترمها."

هززت رأسي في استياء وقلت بحزن عميق:

"وأنا؟ أنا مالهاش وجهة نظر؟ أنا ماليش قيمة عندك؟ كنت متوقعة إنك هتحارب عشاني، مش تسيبني أول ما تواجهنا مشكلة."

ظهرت على وجهه ملامح الإحراج، وقال بتوتر:

"ليلي، الموضوع مش بالساهل. أنا ماقدرش أزعل أمي. في الآخر هي أمي، ولازم أنفذ كلامها."

شعرت وكأنني تلقيت طعنة في قلبي. كنت أبحث عن أي بصيص أمل في كلماته، لكنه كان يتراجع أكثر وأكثر. قلت له بنبرة مليئة بالخيبة:

"يعني أنت شايف إن الحل الوحيد هو إنك تسيبني؟ مش مستعد تدور على حل وسط؟ مش مستعد تضحي بأي حاجة علشاننا؟"

تجنب النظر إليّ وقال بهدوء:

"مش قادر أعمل حاجة أكتر من اللي عملته."

شعرت بقلبي ينكسر، وقلت له بصوت مختنق:

"مازن، كنت فاكرة إن حبنا يستحق أكتر من كده. كنت شايفة فيك شريك حياة، شخص ممكن أعتمد عليه، لكنك أثبتلي العكس."

تنهد وقال:

"أنا آسف، مكنتش عايز أوصل الأمور لكده."

نظرت إليه وعيناي مليئتان بالدموع:

"الأسف مش هيغير حاجة، مازن. كنت مستعدة أعمل أي حاجة علشانك، لكنك واضح إنك مش مستعد تعمل أي حاجة علشاني."

تركته ورحلت. كنت أشعر وكأنني أترك خلفي جزءًا من روحي، لكنني كنت أعلم أنه لا جدوى من البقاء في علاقة من طرف واحد. الحب الذي لا يُحارب من أجله ليس حبًا حقيقيًا.

عـدت إلـى المنـزل وأنـا أحمـل فـي قلبـي ألمًـا عميقًـا، لكـن أيضًـا درسًـا لا يُنسـى. أحيانًـا، الحـب وحـده لا يكفـي. إذا لـم يكـن الطـرف الآخـر مسـتعدًا للوقـوف بجانبـك فـي أصـعب اللحظـات، فإن هذا الحب محكوم عليه بالفشل.

مـرت الأيـام بطيئـة، كأنهـا تسـحب مـن روحـي كـل أمـل. كنـت أعـيش فـي دوامـة مـن الأسـئلة، مشـاعر متشـابكة لا أسـتطيع فهمهـا. كيـف يمكـن لشـخص أحببتـه بصـدق أن يخيـب ظنـي بهـذا الشكل؟ لماذا حدث كل هذا لي؟ هل كان الخطأ فيَّ؟ هل أنا لا أستحق الحب؟

هـذه الأفكـار كانـت تطـاردني ليـل نهـار، ولـم أجـد منهـا مفـرًا. كنـت أحـاول النسـيان، لكـن كـل شـيء حـولي كـان يـذكرني بمـازن. كـل زاويـة فـي المنـزل، كـل أغنيـة كنـا نسـمعها معًـا، كـل لحظة حلمت بها أن تكون بداية لحياتنا معًا.

وفـي إحـدى الليـالي، بينمـا كنـت جالسـة فـي غرفتـي، أحـاول تجميـع شـتات نفسـي، رن هـاتفي فجـأة. نظـرت إلـى الشاشـة، وكـان الـرقم غيـر معـروف. تـرددت للحظـة، ثـم أجبـت. جـاءني صوت أنثوي من الجهة الأخرى، صوت بارد ومتعجرف:

"ألو، إنتِ ليلى؟"

أجبت بتوتر:

"أيوه، مين معايا؟"

قالت بنبرة حاسمة:

"أنـا سـلمى، زميلـة مـازن. بـس حبيـت أقولـك حاجـة مهمـة: ابعـدي عـن مـازن لأنـه مـش بيحبـك، هو بيحبني أنا."

شـعرت وكـأن صـاعقة ضـربتني. وقفـت مكـاني غيـر مصـدقة لمـا أسـمع. حاولـت تمالـك نفسـي وقلت:

"إنتِ بتتكلمي عن إيه؟ مازن يحبك؟"

أجابت بسخرية:

"أيوه، والموضوع ده بقاله فترة. أنا بس حبيت أقولك علشان متعيشيش في وهم."

أنهـت المكالمـة، وتركتنـي فـي حالـة مـن الـذهول والصـدمة. شـعرت وكـأن الأرض تزلزلـت من تحتي. كيف يمكن لمازن أن يفعل هذا؟

لـم أسـتطع الانتظـار أكثـر. اتصـلت بـه فـورًا. عنـدما أجـاب، كـان صـوته يحمـل تـوترًا واضـحًا. سألته مباشرة:

"مازن، مين سلمى؟ وليه بتقول إنها بتحبك؟"

ارتبك وقال بسرعة:

"ليلـى، اسـمعيني. الموضـوع مـش زي مـا إنـتِ فـاكرة. سـلمى دي زميلتـي فـي الشـغل، وأنـا ملـيش علاقـة بيهـا غيـر كـده. مـش عـارف جابـت رقمـك منـين، وصـدقيني أنـا عمـري مـا خنتك."

صوته كان يحمل رجاءً، لكنه لم يكن كافيًا ليطمئن قلبي. قلت له بحدة:

"مـازن، كفايـة كـدب. أنـا مـش عـايزة أسـمع منـك حاجـة تـاني. أنـا خـلاص، مـش عـايزة أعرفـك ولا أسمع صوتك. أنا بكرهك!"

أنهيـت المكالمـة، ودمـوعي تنهمـر بغـزارة. شـعرت أن قلبـي يُمـزق مـن الألـم. كيـف يمكـن لشخص كنت أعتبره كل حياتي أن يغدر بي بهذه السهولة؟

مـرت السـاعات، وكنـت أغـرق فـي بحـر مـن الـدموع. لكـن فجـأة، بـدأت تصـلني رسـائل علـى الواتساب. كانت من رقم مجهول، تحتوي على لقطات شاشة لمحادثات بين مازن وسلمى.

بـدأت أقـرأ، وكـل رسـالة كانـت كالسـيف يختـرق قلبـي. الكلمـات بيـنهم كانـت تحمـل خيانـة واضـحة، ضـحكات، ووعـود. كنـت أشـعر بالاختنـاق مـع كـل كلمـة. حاولـت أن أتماسـك، لكـن الصدمة كانت أكبر من أن أتحملها.

لـم أسـتطع النـوم تلـك الليلـة. ظللـت أفكـر وأبكـي حتـى كـاد الصـباح أن يطلـع. كنـت أشـعر بالضياع، وكأن عالمي انهار تمامًا.

فـي صـباح اليـوم التـالي، تلقيـت مكالمـة أخـرى مـن مـازن. كنـت أتوقـع منـه تفسـيرًا، أو ربمـا اعتذارًا. لكنه بدلًا من ذلك قال لي بهدوء غريب:

"ليلـى، كـل حاجـة فـي الـدنيا قسـم ونصـيب. إحنـا خـلاص مـش هينفـع نكمـل مـع بعـض. أنـا مـش قادر أكمل في أي حاجة، لا معاكِ، ولا مع أهلي، ولا حتى مع حياتي كلها. أنا تعبت."

صـوته كـان يحمـل نبـرة مـن الأنانيـة المفرطـة، وكأنـه يلقـي بـاللوم علـى الجميـع إلا نفسـه. شعرت ببرود كلماته يخترقني، فقلت له بصوت مرتجف:

"مـــازن، أنـــا عملـــت كـــل حاجـــة علشـــانك. ضـــحيت، اســـتحملت، كنـــت مســـتعدة أكـــون معـــاك مهمـــا حصل. لكن إنت، ببساطة، اخترت نفسك. اخترت تهرب بدل ما تحاول تحل المشكلة."

لم يرد لفترة، ثم قال:

"أنا آسف، بس ده الواقع."

أنهـــى المكالمـــة، وتركنـــي غارقـــة فـــي مشـــاعري المتضـــاربة. كنـــت أشـــعر بالخـــذلان، بالغضـــب، بالحزن، وكل ذلك يتداخل في داخلي كأنني في عاصفة لا نهاية لها.

(فضفضه)

حتى كلمة "غليان" تبدو قاصرة أمام ما يعتمل داخلي. الغليان مرحلة، له ذروة ونهاية، أما ذلك الفوران الذي يسكن قلبي، فهو أقرب إلى نار أزلية، كأنها مقتبسة من الجحيم ذاته. ليست مجرد مشاعر عابرة من غضب أو حزن، بل صراع متواصل بين ما كان ينبغي أن يكون وما آلت إليه الأمور.

أشعر أحيانًا أنني أقترب من السلام، من لحظة الهدوء التي طالما انتظرتها، لكن سرعان ما تشتعل الشرارة من جديد، وتعود النيران لتلتهم كل شيء. هو فوران لا يهدأ، يقيدني في دوامة لا نهاية لها، حيث يصبح الألم جزءًا لا يتجزأ من الوجود.

(فراغ لا يُملأ")

لا أستطيع إنكار أن كل لحظة تمر عليّ، أشعر فيها بفراغٍ كبير، فراغ لا يمكن لأي شيء أن يملأه سوى وجوده. أبي، ذلك الشخص الذي كنت أجد فيه الأمان والاطمئنان، كان حضورُه يعني لي العالم. لو كان موجودًا الآن، لو كان بجانبي، ربما لم يكن ليحدث كل ما مررت به، ولم أكن لأعاني كما عانيت. لو كان معي، لكان أرشدني، وجهني، وأعطاني القوة لمواجهة الحياة.

لكن ما حدث هو أنني اضطررت لمواجهة الحياة وحدي، وبدأت أبحث عن حب قد يملأ ذلك الفراغ، أو على الأقل يسدّ جزءًا منه. كنت أعتقد أنني إذا وجدت الحب في مكان آخر، ربما أتمكن من تعويض ما فقدته. لكن ما لم أكن أعيه في البداية هو أن الحب لا يأتي إلا مع الزمن، لا يأتي إلا بعد تجارب، وبعد محاولات مؤلمة للبحث عن شيء مفقود.

الحب الذي كنت أبحث عنه خارج حدود المنزل كان محاولة لإعادة خلق ذلك الإحساس الذي كنت أعيشه في حضن أبي. لم يكن مجرد حب بين شخصين، بل كان بحثًا عن أمان، عن دفء افتقدته. ولكن، في الواقع، كانت تلك المحاولات مريرة. كنت أبحث عن شيء ليملأ الفراغ، لكن كل خطوة كانت تزيد الجرح عمقًا، فكلما اقتربت من شيء يشبه الحب، كنت أكتشف أن ما كنت أبحث عنه لا يمكن العثور عليه بسهولة، ولا يمكن تعويضه.

الناس دائمًا تقول إننا نكبر ونتعلم من التجارب، لكن الحقيقة أن بعض التجارب قاسية، وقد لا تعلمك شيئًا سوى أن بعض الأماكن في حياتنا لا يمكن ملؤها بأي شخص آخر، مهما حاولنا. الفراغ الذي يتركه غياب الأب ليس شيئًا يمكن تعويضه بسرعة، ولا يمكن ملؤه بأي حب عابر أو علاقات عابرة.

) بين الامل والرجاء)

حياتي قد تغيَّرت تمامًا، أصبحت مظلمة وكأنني أعيش في ظلالٍ بعيدة عن النور. لم أعد أخرج إلا للذهاب إلى عملي، وكل شيء آخر صار عديم المعنى. لم أعد أفكر في شيء، وكل شيء أصبح رتيبًا ومملًا. لو فكرت في الزواج، فلن يهمني من يكون، سأقبل بأي شخص يمر في طريقي. أصبحت لا أبالي بشيء. أختي كانت تحاول دائمًا إقناعي بأن أنسى كل ما حدث، وأن أقترب من الله، وأنه هو الذي فعل ذلك لأن ما كان لي ليس نصيبي. لكنني كنت قد فقدت الأمل في كل شيء، كنت أشعر أن الحياة قد تغيرت من حولي وأنا مازلت في ذات المكان.

أشعر أنني لا أزداد شبابًا، بل أضيع من دون أن أكون قادرة على التقدم. كلما اقتربت من شخص، اكتشفت أنه ليس هو الشخص المناسب. أصبح الأمر كأنني أعيش في وهم، كلما حاولت أن أصدق شيئًا، وجدته مجرد سراب. أشعر وكأنني أخدع نفسي وأخدع الآخرين، كي أتمكن من الاستمرار في الحياة وكأنها طبيعية، لكنني في كل مرة أكتشف أنني لست قادرة على العثور على نفسي في أي شيء أفعله.

كنت دومًا أقول لنفسي إن الحياة يجب أن تكون أكثر سهولة، أن يكون هناك معنى وهدف، ولكن كلما تمسكت بأمل، انهار هذا الأمل أمامي. حتى عندما حاولت أن أقرب من الله، شعرت أنني لا أستطيع أن أسترجع نفسي أو أعيش في هدوء داخلي. أتمنى أن أصدق أنني سأتغير، وأنني سأتمكن من الوقوف مجددًا على قدميّ وأقول كفاية، وأنني أستحق السعادة، ولكن في كل مرة أرى أنني لست مستعدة بعد.

كل شيء لا يكمل. وكلما حاولت أن أبدأ من جديد، وجدت شيئًا ما يوقفني، فكرة أو إحساسًا بأن الوقت ليس وقتي بعد. لكن في نفس الوقت، هناك جزء من داخلي يخبرني أن هناك تغييرًا قادمًا، وأنه رغم ما أشعر به من ضياع، فهذه ليست النهاية. لكنني ما زلت غير قادرة على تصديق ذلك.

أحاول أن أتمسك بأي شيء، أخاطب نفسي وأقول لها إن الله لن يتركني في هذا الحال، وأنه سيمنحني الفرصة في الوقت المناسب. ولكنني لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير فيما مضى، ولا أستطيع أن أتوقف عن الإحساس بالإحباط. أشعر أن حياتي أصبحت مجرد مرور للأيام، وأنا لا أجد نفسي فيها.

لكن الله هو من يعلم، وربما كل شيء يحدث لسبب. في هذه اللحظة، كل ما أريده هو أن أتمكن من الخروج من هذه الدائرة المغلقة، وأن أجد الطريق الذي يحتوي على الأمل. الحياة ليست هكذا، وأنا متأكدة من ذلك. ولكنني لا أستطيع أن أجد الجواب الآن، ولا أدري إن كنت سأجده قريبًا أم لا.

(ليلي الجديده)

في الفترة الأخيرة، بدأت أشعر أن حياتي أخذت منحى مختلفًا. كنت أركز كل طاقتي على شغلي، وأصبحت الأيام تمر سريعًا وأنا في عملي، دون أن ألتفت لشيء آخر. شعرت أنني قد تخلصت من الكثير من الأعباء التي كانت تثقل كاهلي. شعرت بنجاح حقيقي، وكنت فخورة بما حققته. ولكن وسط هذه النجاحات، كان هناك دائمًا شعور بالفراغ يلاحقني من الداخل. كان النجاح في العمل يعطيني شعورًا مؤقتًا بالإنجاز، لكنه لم يكن يملأ ذلك الفراغ العاطفي الذي كنت أعيشه.

ثم جاء زواج أختي، وكانت تلك اللحظة محورية في حياتي. على الرغم من سعادتي الكبيرة لها، إلا أنني لم أتمكن من منع نفسي من الشعور بشيء من الوحدة. كانت علاقتنا قوية، وقد اعتدنا على أن نكون معًا طوال الوقت. لكن مع زواجها، شعرت أن شيئًا ما قد تغيّر. أصبحت مشغولة بحياتها الجديدة، وأصبح لديها اهتمامات أخرى. أما أنا، فقد كنت أبحث عن نفسي في وسط هذا التغيير.

ومع مرور الوقت، رزقت أختي بتيا، وقد كانت هذه البراءة الصغيرة بمثابة الضوء الذي أضاء حياتي. تيا أصبحت كل شيء بالنسبة لي. لم تعد مجرد ابنة أختي، بل أصبحت هي ابنتي في كل شيء. كنت أراها في كل لحظة من حياتي، وأتعلق بها أكثر فأكثر. كلما نظرت إليها، شعرت أن الحياة قد أعادت لي جزءًا من الأمل، الذي كنت قد فقدته.

لكن مع كل هذه التغيرات، كنت أسأل نفسي: هل ستكون هذه النهاية؟ هل كل شيء سينتهي بهذه الطريقة القاسية؟ هل سأظل أعيش في هذا الحزن والضياع؟ ولكني قررت أنني لا أريد أن أظل في هذا الوضع. قررت أن أسمح لنفسي أن أعيش بسلام، أن أشفى من كل الجروح التي كانت تؤلمني. بدأت في مسامحة نفسي على كل الأخطاء التي ارتكبتها، وكل الفرص التي ضاعت مني. كان من الصعب أن أغفر لنفسي، ولكنني علمت أن الطريق الوحيد للسلام الداخلي هو أن أكون قادرة على مسامحة نفسي أولًا.

لقد سامحت والدي أيضًا، رغم كل شيء. لم يكن الأمر سهلًا، فقد كانت في نفسي مشاعر غاضبة بسبب بعض الأمور التي مررنا بها. ولكنني أدركت أن الغضب لن يفيدني في شيء. الغضب كان يستهلكني، وكان يجعلني أعيش في الماضي بدلًا من أن أعيش في الحاضر. حينما سامحت، شعرت وكأنني أزلت عن قلبي حملًا ثقيلًا كان يعكر صفو حياتي.

ثم جاء القرار الكبير. قررت أن أذهب مع أمي لأداء العمرة. كانت هذه الرحلة بالنسبة لي خطوة مهمة جدًا. كانت بمثابة بداية جديدة، رحلة لتهدئة قلبي، وتطهير نفسي. عندما كنت هناك، شعرت أنني في مكان آمن، وأن الله قريب مني، يسمعني ويراني. كل شيء كان مختلفًا. كنت أردد الأدعية وأشعر أنني أستعيد شيئًا فقدته منذ فترة طويلة. لم تكن العمرة مجرد رحلة دينية بالنسبة لي، بل كانت رحلة روحية، رحلة داخلية مع نفسي.

وعندما عدت من العمرة، كان كل شيء قد تغير. كنت في حالة انتظار، كنت أنتظر نصيبي، ذلك النصيب الذي كنت أؤمن أنه موجود، لكنني لم أكن أعرف متى سيأتي. لكن الأهم من ذلك كان أنني كنت راضية. نعم، راضية عن حياتي وعن نفسي. كنت أؤمن أن هذا هو الطريق الصحيح، وأن كل شيء يحدث لسبب.

تلك اللحظة التي شعرت فيها بالرضا كانت أجمل لحظة في حياتي. شعرت بأنني أخيرًا وجدت السلام الداخلي الذي كنت أبحث عنه طوال السنوات الماضية. لم أعد أشعر بالحزن أو الفقد، بل شعرت أنني قد استعدت نفسي بالكامل. ليلي، التي كانت محبطة ومليئة بالأسئلة، أصبحت ليلي التي تفخر بنفسها. ليلي التي تعلمت كيف تسامح، كيف تترك الماضي خلفها، كيف تجد قوتها في الصبر والرضا.

لقد تعلمت أن الحياة ليست دائمًا كما نتوقعها. قد نمر بالكثير من اللحظات الصعبة، ولكن في النهاية، كل شيء يأتي في وقته. وكل ما علينا فعله هو أن نثق بالله، وأن نكون مستعدين لما هو قادم. في النهاية، حياتي بدأت تأخذ شكلًا جديدًا، وأصبحت أكثر فخرًا بنفسي وبكل ما مررت به. ليلي الآن هي ليلي التي تشعر بالسلام، ليلي التي لم تعد خائفة من المستقبل، بل مستعدة لما هو قادم بكل حب وأمل.

وفي النهاية،

أود أن أقول إن ليلي كانت بحاجة لأن تحب نفسها قبل أن تفكر في حب شخص آخر. لو كانت قادرة على حب نفسها منذ البداية، لما وصلت إلى ما مرت به من تجارب وألم. ربما كان غياب الأب له دور كبير في تشكيل قصتها وتوجهاتها، فقد كان لهذا الغياب أثر عميق على مشاعرها وأفكارها. ولكن، الحمد لله على كل حال، فكل شيء في الحياة له حكمته، وكل تجربة كانت درسًا لها، حتى وإن كانت مؤلمة.

إن الإنسان لا يستطيع أن يطلب حب الآخرين دون أن يبدأ بحب نفسه أولًا. فالسلام الداخلي يبدأ من الذات، والتصالح مع النفس هو بداية الطريق نحو السلام الحقيقي. ومن هنا، تعلمت ليلي أنه لا بد للإنسان أن يكون قويًا في ذاته، يقدر نفسه ويعزز ثقته بها، قبل أن يبحث عن حب خارجي.

وأود أن أقول لكم جميعًا: تعلموا كيف تحبون أنفسكم، كيف تكونون على صلة طيبة مع قلوبكم. وفي نفس الوقت، اقتربوا من الله، فالقرب منه هو مصدر القوة والطمأنينة. الله هو السند في جميع الأوقات، وهو الذي يهدينا في كل لحظة من حياتنا. فلتكن قلوبنا عامرة بحب الله، ولنجد السلام الداخلي الذي يعيننا على مواجهة صعاب الحياة.